

الماضرة الثانية

اللسانيات وتحليل الخطاب

المحتويات:

- 1- العلاقة بين اللسانيات وتحليل الخطاب
- 2- لسانيات النص/الخطاب

المحاضرة الثانية: اللسانيات وتحليل الخطاب

1-العلاقة بين اللسانيات وتحليل الخطاب

لا تزال حقول تحليل الخطاب تتراوح بين الذين يتشبثون بمنطق صرامة اللسانيات وتضييق مجالاتها المعرفية وبين من يدعون الى نهج المرونة في الاقتراب من فضاءات الخطاب وتوسيع مجالات اللسانيات لتشمل رحابة المعرفة وتشعباتها ولاسيما أن فلسفة العصر الحديث هي اللغة بوصفها قناة لكل معرفة متوخاة .¹

العلاقة بين اللسانيات- خاصة في مراحلها الأولى-اللسانيات غير الملفوظية -والخطاب كانت علاقة انفصال حيث أن لا صلة بينهما، فقد ألغي في باب الدراسات اللغوية اللسانية" الخطاب "مما أدى إلى نقص في هذه الدراسات لوجود حلقة مفقودة في سلسلتها هذا ما قاد إلى ظهور مدارس جديدة لسانية"اللسانيات الملفوظة" خاصة المدرسة الملفوظية التي أكدت على وجود علاقة اتصال وثيقة بينها وبين الخطاب لأنها لا تتم ولا تحقق اللغة هدفها وغرضها التواصل التليغي.

فاللسانيات تمثل الجانب المجرى البنائي للغة، أما الخطاب فهو الجانب الحيوي الروحي لها والمتمثل في غرضها الأساسي التواصل، فالنظرة الجديدة للغة لا تجد ضالتها إلا من خلال الخطاب بمكوناته. وهنا يظهر مأزق اللسانيات أو محدوديتها على الأصح . في معالجة إشكالية الخطاب لأنها تحصره في نطاق الجملة التي نظر إليها أندريه مارتيني Martinet Andre " على أنها أصغر مقطع ممثل بصورة كلية وتامة للخطاب . غير أن هذا لا يفضي الى عجز الدراسات اللسانية في عدم قدرتها على معالجة قضايا أكبر من الجملة.² فمن الطبيعي أن يكون الخطاب (هذا الما بعد) موضوعا لللسانيات ثانية .

إن التحليل اللساني للغة ترك مجالا واسعا وفضاء خصبا لدراسة الخطاب من مستويات عديدة :
المستوى الصوتي- المستوى الصرفي -المستوى التركيبي - المستوى الدلالي - المستوى المعجمي -
حتى المستوى البلاغي

على أن اللسانيات الحديثة والخطاب لا يمكن أن يستغني كل طرف منهما عن الطرف الثاني كأنهما وجهان لعملة واحدة وهي الدراسة اللغوية.

2-لسانيات النص/الخطاب:

2-أ/ لسانيات الجملة و لسانيات النص :

2-أ/ 1. الدرس اللساني من الجملة إلى النص :

وقف البحث اللساني دراسته منذ القدم على الجملة كأكبر وحدة يمكن دراستها دراسة علمية وتوصيف علاقاتها بالرغم من أن "دي سوسير" وغيره من اللغويين في بداية القرن العشرين قد أدركوا أهمية المظهر الخطابي للمعاني التي لا يمكن أن تترتب وتتركب إلا حينما تتراص العلاقات ويوافقه في ذلك "جيرارد جنييت"، و"جاكسون" إلا أنه قصر دراسته على الجملة. وجب الوقوف قليلا عند الجملة تعريفا ودراسة لتبين طريق لسانيات النص.

-الجملة اصطلاحا :

الجملة عند النحاة العرب المتقدمين مرادفة للكلام يقول "سيبويه" (ت 180 هـ)، في نص مؤسس تحت باب المسند والمسند إليه: « وهما المسند والمسند إليه، ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا فمن ذلك الاسم المبتدأ أو المبني عليه ، وهو قولك عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء».³

يجعل "سيبويه" من الإسناد مفهوما مركزيا في بنية الكلام (=الجملة) ، ولم يأت بشيء فيه إشارة إلى الإفادة، والإشارة الواضحة في هذا النص، عدا مركزية الإسناد هو استعماله الكلام مكان الجملة، إذ لم يعرف مصطلح الجملة إلا في زمن "المبرد" (ت 285 هـ)، فعنده استعملت الجملة استعمالا اصطلاحيا.

من استعمالات المبرد لمصطلح الجملة، قوله في المقتضب: « وإنما كان الفاعل رفعا ، لأنه هو والفعل جملة يحسن عليها السكوت، وتجب بها الفائدة للمخاطب».⁴

ونلاحظ أن المصطلح لدى المبرد يتداخل مع الكلام بدليل ذكره لزوم الفائدة بها للمخاطب ومثله ألزم "الزمخشري"(ت 538 هـ) إذ يقول : « الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى وهذا لا يتأتى إلا في اسمين، أو في فعل ولسم، ويسمى الجملة».⁵

وقد ساوى "ابن جنى" (ت 392 هـ) كذلك بين الجملة والكلام إذ يقول: «الكلام واقع على الجمل دون الآحاد»⁶ ويقول: «الكلام إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها».⁷

وإن كان من سبق من مؤيدي الإفادة في الجملة، وجعلوا الكلام مرادفا لها، فأصحاب الإسناد فرقوا بين الجملة والكلام وعلى رأسهم "رضي الدين الإستراباذي" (ت 686 هـ) الذي يقول: «الفرق بين الجملة والكلام أن الجملة ما تضمنت الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا...، والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته، فكل كلام وجملة ولا ينعكس».⁸

وعن المتقدمين ورد في كتاب "نحو النص" لأحمد عفيفي تعريفات للجملة أهمها: «هي عبارة عن تتابع خطي من عناصر القول ينتهي بسكته».⁹

كما يصادفنا تعريف "إبراهيم أنيس" للجملة: «هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر».¹⁰

والنحو الغربي التقليدي نظر إلى الجملة نظرة فلسفية، يقول "ديفيد كريستال David Crystal": «الجملة تتكون من طرفين هما: الموضوع subject الذي يعادل المسند إليه والمحصول predicate الذي يخبر عن الموضوع، ويعادل المسند في النحو العربي».¹¹

ولاشك في أن الاختلاف في تعريف الجملة قد انعكس على إمكانية تحديد أبعاد الجملة من حيث البداية والنهاية، فأصحاب الاتجاه الذين اعتمدوا على الإفادة قد جعلوا إتمام المعنى هو معيار الجملة وأصحاب الاتجاه الذين اعتمدوا على الإسناد فقد حددوا أبعاد الجملة في ضوء البنية التركيبية مكتفين بالعلاقة النحوية القائمة بين عناصر البنية اللغوية، والحقيقة أن الجمع بين الاتجاهين أفيد للدراسة تحليلا وتقنيكا وبوادر هذا المنهج، أي منهج الجمع ظهرت عند "ابن جنى" بالرغم من اشتراطه تمام الفائدة، إذ أنه سمى الإسناد الواقع خبرا جملة في قوله: «زيد قام أخوه».¹²

-لسانيات الجملة (نحو الجملة):

ظلت الجملة هي الوحدة الكبرى في اللسانيات فبقيت طموحاتها متواضعة مقتصرة على ما يمكن أن تحيل إليه الجملة من مكوناتها فصيرتها عينة دالة، والمناهج التي تداولت لسانيات الجملة ولم تتأ عنها: نظرية العامل، المنهج البنوي، المنهج التوليدي التحليلي.

- نظرية العامل:

العامل النحوي هو « كل ما أوجب آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب»¹³، و كانت بدايات ظاهرة العمل النحوي حينما لاحظ النحاة تعاقب علامات الإعراب على آخر الكلمة المعربة، وبعد البحث في علة ذلك وجدوا أن عناصر الجملة يتأثر بعضها ببعضها الآخر، فالجملة هنا ليست حشدا للمفردات وإنما هي تشكيل لغوي متفاعل، وقد أورد عبد القاهر في كتابه العوامل المائة مائة عامل نحوي، وقسمها قسمين: عوامل لفظية وأخرى معنوية.

- المنهج البنيوي :

زعيم التيار البنيوي "فرديناند دي سوسير" يرى الجملة بأنها : « عبارة عن تتابع من الرموز وأن كل رمز يسهم بشيء من معنى الكل، لهذا فكل عنصر رمز داخل الجملة يرتبط بما قبله وما بعده».¹⁴

نفهم من هذا التعريف أن "سوسير" لم يستغن عن أي عنصر من عناصر الجملة وأطلق على تتابع الرموز في الجملة مصطلح syntagmatique، أي التتابع ، أما في علاقة الرموز فيما بينها مصطلح paragrammatique أي الاستبدال .

وقد أسهمت البنيوية بصورة واضحة في علم التراكيب النحو syntaxe، غاضة النظر عما تؤديه الجملة من دلالة، ومن هذا المنطلق يعرف "بلومفيد Bloumfid " الجملة تعريفا شكليا صارما على أنها: « عبارة عن شكل لغوي مستقل لا يدخل عن طريق أي تركيب نحوي في شكل لغوي أكبر منه ».¹⁵

فالتفكير البنيوي يتمسك بفكرة الاستقلال واقتضاء قواعد التركيب الشكلي ويسقط من حسابه فكرة التمام، بأن تعتمد الجملة على سابقتها ولاحقتها، فالجملة هي نهاية المطاف، مع جعل الشكل الحاوي موضوع التحليل وإهمال المحتوى الكلامي واعتبار الدلالات موكولة إلى اختصاصات أخرى كعلم النفس لا الدراسات اللسانية.

- المنهج التوليدي التحويلي :

جاءت التوليديّة كردة فعل على البنيوية رأت أنها كفيلة بجبر كسرهما فخاضت في الجملة برؤية تشومسكي N. Chomsky " في قوله: « هي ما تحتوي على سلسلة من الأدلة النظامية، يجري توليد كل واحد منها من قبل الأساس في المكون النحوي».¹⁶

والمراد بالأدلة النظامية، الوحدات الأساسية التي تتألف منها البنية العميقة *profonde structure* وهي ترتبط بالكفاءة اللغوية *compétence* « في إطار النظرية الألسنية التوليدية و التحويلية، نسمي القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها، في عملية تكلم اللغة بالكفاية اللغوية، ونميز بين الكفاءة اللغوية وبين ما نسميه بالأداء الكلامي. فالكفاية اللغوية هي المعرفة الضمنية باللغة، في حين أن الأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين».¹⁷

البنية السطحية *surface de structure* إذن ترتبط بقاعدة الأداء الكلامي *performance* وتعد انعكاسا للبنية الأولى العميقة، فهي الطابع الكلامي لها. يعتبر هذا المنهج من أهم المناهج اللغوية الحديثة التي وقفت عند حدود الجملة معتمدة المكون التركيبي والمكونين الصوتي والدلالي فهما ثانويان تابعان مفسران.

- نحو الجملة في اللسانيات العربية

يمكن الحكم على أن اللسانيات العربية لم تخرج عن إطار التفكير الغربي وإن اصطبغت بالصبغة العربية أحيانا فهذا يعود لأصالة اللغة ومرونتها. وقد علق "تمام حسان" على الفرق القائم بين نحو الجملة ونحو النص فقال في تقديمه لكتاب "دي بوجراند" وإذا كان اتجاه البحث في النظام الافتراضي نحو الجملة إلى التحليل فإن الاتجاه في دراسة الاستعمال نحو النص على التركيب. وإذا كانت الغاية من التحليل هي الوصف، فإن الغرض من التركيب هو الاتصال، والاتصال لا يتم بواسطة وصف الوحدات الصغرى صوتية وصرفية، ولا يعرض العلاقات النحوية، وإنما يتم باستعمال اللغة في موقف أدائي حقيقي، أي بإنشاء نص ما....، وليس لأحد الاتجاهين أن يلغي الآخر فلا الاعتراف بالنصية يلغي الدراسات التحليلية، ولا تغني الدراسات التحليلية عن الاعتراف بالدراسة النصية.¹⁸

2-أ/ 2. بواذر الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص:

يرجع الدارسون البداية الحقيقية لعلم اللغة النصي و *linguistic Textual* إلى منتصف القرن العشرين، حينما نشر "زيليج هاريس Z. Harris" بحثاً عنوانه تحليل الخطاب *Analysis liscours* سنة 1952، وإن كان البعض يقر بالسبق للأمريكية "ناي I.Nye" في أطروحتها للدكتوراه سنة 1912.

اهتم "هاريس" بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي¹⁹. يقول: « اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك، بدءاً من المونولوج وانتهاءً بمناظرة جماعية مطولة ».²⁰

وتوالت الدراسات بعد ذلك في السبعينات على يد "فان دايك" Van Daik " واكتملت في كتابه النص والسياق حيث قدم معايير ترجع أغلبها إلى النحو التوليدي التحويلي بشكل خاص مثل: الحذف، الإضافة، الترتيب وغيرها، وفي معالجة الأشكال الدلالية، استعمل الاستبدال أو الإحلال، بالإضافة إلى المجاورة والازدواج والتوازي والمجابهة وغير ذلك، ولم يقتصر تحليله على عناصر دلالية ونحوية فقط، بل إنه يدخل عملية التواصل والسياق، وعناصر تداولية أخرى كثيرة²¹. وبرزت أسماء كثيرة في هذا المجال تجاوزت لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.

كان لظهور لسانيات النص ارتباطاً وثيقاً بالنظرية التوليدية التحويلية التي كانت ترى أن الاستعمال اللغوي غير قابل للتحديد، وظهر ذلك من خلال تركيزها على الوصف العملي بين التركيب اللغوي والخصائص الفكرية، حيث قام بتجزئة الظاهرة اللغوية بين النحوية Grammaticalité والمقبولية acceptability واعتبر أن مجال الدراسة النحوية يتعلق بمجال القدرة (أي الجملة)، وأن مجال دراسة المقبولية متعلق بالإنجاز (النص/الخطاب).²²

وفي هذا الطرح دلالة صريحة وواضحة على وجوب فتح آفاق دراسية تعمل على وصف وتحليل النصوص والخطابات المرتبطة بدورها بسياقاتها والظروف التي أنتجت فيها. وبالتالي يمكن عد هذه الآراء نقطة تحول داعية إلى أهمية تجاوز الدراسات اللغوية من مستوى الجملة إلى مستوى النص والربط بين اللغة ممثلة بالنصوص والخطابات والموقف الاجتماعي، مشكلين بذلك اتجاهها جديداً.²³

2-ج/ لسانيات الخطاب :

إن هذا الانتقال (من مستوى الجملة إلى مستوى النص) يفرض بالضرورة إعداد مجموعة من الفعاليات والآليات المستمدة من قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية قصد تحقيق تحليل ووصف سليم للنصوص والخطابات والوصول إلى صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها، ومن بين الظواهر النصية المختلفة التي عني بها الدرس اللساني في دراسته لنحو النص: علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق، والتقابل، والتراكيب المحورية والمجتزأة، وحالات الحذف وغير ذلك من الظواهر التي تخرج عن مجال الجملة.²⁴

إن تحليل الخطاب يطمح أساسا إلى تقديم تأويلات للخطابات ، ولا يمكن تأويل خطاب من خلال تأويل اعتباطي مفرد لسلسلة جمل (أي أن الخطاب ليس تركيبا اعتباطيا للجمل) ، فالوقوف عند حدود تأويل جملة ثم المرور إلى الأخرى لا يقدم تأويلا مقبولا للخطاب .

أهم ملمح في لسانيات النص أنه علم غني متداخل الاختصاصات يشكل محور ارتكاز عدة علوم، ويتأثر دون شك بالدوافع ووجهات النظر والمناهج والأدوات والمقولات التي تقوم عليها هذه العلوم. وهناك من يعرف لسانيات النص بأنها « فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة و المكتوبة...وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، و ترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد»²⁵، وهي عادة ما تهتم « بدراسة مميزات النص من حيث تماسكه ومحتواه الإبلاغي التواصلية»²⁶.

لقد اتخذت المعرفة اللسانية في جيلها الثاني الخطاب أو النص موضوعا للتوصيف و التحليل ، وقد تبنت مناهجها و أهدافها من خلال جهود مدرسية رائدة افتتحت بالعمل الجاد الذي قدمه "زليغ هاريس" في الخمسينات من القرن الماضي، وربما زعمنا وجود فروق زمانية في نشأة هذه الاتجاهات و هيمنتها على الساحة اللسانية و النقدية ، مم يمكننا من التنويه بجهود أهمها مشروع "ج.م.إدام" إذ تعد مؤلفاته الحجر الأساس للمشروع اللساني النصي ، يضاف إلى ذلك أعلام كثيرون مثل ج.غريماس وتودوروف وبارت وجوليا كرسيفا، و ميخائيل ريفاتير وأندريه مارتينييه.

يقوم النقد اللساني النصي على وصف مستويين أساسيين يعبران في ترابطهما عن العلاقة التي تربط النص بالغرض، و لنقل بين الوضع (النظام) والاستعمال، و هذان المستويان هما: المستوى المقطعي والمستوى التداولي، لذا فإن لسانيات النص تضطلع بمهمة وصف هذا النواشج وتبيان مقوماته، وقيمه المادية من حيث هو صورة معبرة عن غرض الخطاب في التداول اللساني البشري ، بالتميز بين مستويين من الدراسة هما المستوى المقطعي والمستوى التداولي، ويحيل الوصف اللساني للبنية المقطعية إلى إمكان التمييز بين البنية المقطعية الكبرى التي تشكل من ارتباط مجموعة من البنى المقطعية الصغرى ذات الطبيعة التكوينية نفسها هي: المقطع الحواري والسردى و التفسيرى والأمري و البرهاني و الوصفي.

ويرتكز التحليل التداولي على المكونات الأساس في بناء النصوص هي:

1- المكون الدلالي المرجعي.

2- المكون التلفظي.

3- المكون البرهاني.

إذ سيكون من مهام لسانيات النص وصف الأداء التواصلية باعتباره فعلا تبليغيا* موجها في إطار نظرية الفعل الكلامي التي عرضها كل من سيرل وأوستين.

- ¹ سحر شبيب، البنية السردية والخطاب السرد في الرواية، 112.
- ² تحليل الخطاب "من اللسانيات الى السيميائيات، أحمد يوسف، الشبكة العالمية للمعلومات، منديات ستار تايمز، الصفحة: <https://www.startimes.com/f.aspx?t=5228190>
- ³ سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1، ص 23.
- ⁴ المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، مطابع الأهرام التجارية، قليب، مصر، ط1، 1994، ج1، ص 146.
- ⁵ الزمخشري، المفصل في علم العربية، تح: فخر ضالح قدارة، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004، ص 23.
- ⁶ ابن الجني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية لدار الكتب المصرية، مصر، 1951، ج1، ص 26.
- ⁷ المرجع نفسه، ص 32.
- ⁸ رضي الدين الاسترابادي، شرح الرضى على الكافية، تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1966، ج1، ص33.
- ⁹ أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص 16.
- ¹⁰ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1987، ص 276.
- ¹¹ خالد عبد حربي، حسين نوري محمود، سعد رفعت سرحت، من لسانيات الجملة ونحوها إلى لسانيات النص ونحوه، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، مج20، ع11، 2013، ص 203.
- ¹² ينظر: إيهاب سعود، تطور اللسانيات اللغوية من الجملة إلى النص، كتاب إلكتروني، الألوكة www.alukah.net، ص 08.
- ¹³ الشريف الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص 145.
- ¹⁴ سعيد بحيري، علم لغة النص، المفاهيم و الاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1998، ص 19-20.
- ¹⁵ - فولفجانج هانيه من وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، تر: فالح بن شيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 19.
- ¹⁶ نعوم تشومسكي، جانب من نظرية النحو، تر: مرتضى جواد، مطبوعات وزارة التعليم العالي، جامعة البصرة، 1985، ص 40.
- ¹⁷ ميشال زكريا، الأسنوية التوليدية والتحويلية، قواعد اللغة العربية الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الحمراء، بيروت، ط2، 1986، ص 7.

- ¹⁸ ينظر: دي بوجراد درسلو، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 64.
- ¹⁹ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للنشر، القاهرة، ط2، 2000، ج1، ص23.
- ²⁰ فولفجانج هانيه من وديتر فيهفجر، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص 21.
- ²¹ ينظر، سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص 65.
- ²² محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، المجلد الأول، تونس، 2000، ص 81-82.
- ²³ جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، دار صادر، القاهرة، ص 22.
- ²⁴ أحمد عفيفي، نحو النص، مكتبة زهراء الشرق، جامعة القاهرة، 2001، ص 3.
- ²⁵ صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق-دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ج1، ص 35.
- ²⁶ جوليان براون وجورج يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطيني ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، الرياض، السعودية، د ط، 1997، ص 30.
- * دون إهمال الجانب البنيوي فيه.